هـنـد

من آكلة الأكباد إلى راوية الأحاديث

هي هند بنت عتبة بن ربيعة.

واحدة من أشهر نساء العرب.

وقد اشتهرت هند: بسبب كل الأعمال الفظيعة التي ارتكبتها ضد المسلمين أيام معاركهم الأولى، ثم بسبب أنها زوجة أبو سفيان، وأم معاوية بن أبي سفيان خليفة المسلمين، وأول الخلفاء الأمويين.

وكانت فارسة وشاعرة ذات حسن وجمال، ورأي وفصاحة، وعزة نفس.

تزوجت مرتين، زوجها الأول هو الفاكهة بن المغيرة أحد فتيان قريش.

وكان له بيت يتخذه كمضيفة، فيتوافد الزائرون عليه ليلاً ونهاراً بلا استئذان.

وذات يوم خلا البيت من الزوار، فرأى الفاكهة وهند أن يأخذا قسطاً من الراحة، وما هي إلا لحظات حتى استغرقا في نوم عميق، لكن الفاكهة أرق فنهض لبعض حاجته، وخلال ذلك أقبل رجل ممن

obeikandl.com

كانوا يترددون على البيت، وحين دخل رأى هند نائمة فارتد من فوره، لكن الفاكهة رآه، فأقبل على هند وضربها وهو يسألها: من الذي خرج من عندك؟ فقالت: ما رأيت أحداً، ولا انتبهت من نومي إلا الآن. فلم يصدق كلامها وأذهب ذلك عقله وقال لها: ارجعي إلى أمك.

وكان رجوع هند إلى أبيها بسبب تلك التهمة الشنيعة: مثار لغز بين الناس، فقد كثرت الأقاويل وانتشرت الشائعات، وأصبح هذا الموقف الحساس يتطلب وضع حد فاصل، فقرر أبوها أن يواجهها ويعرف منها الحقيقة، فقال لها: يا بنية، إن الناس قد أكثروا فيك الكلام، ولاكت ألسنتهم الشائعات، فقولي الحقيقة، فإن كان الرجل صادقاً فيما اتهمك به دست عليه من يقتله، وبذلك نقطع ألسنة السوء، وإن كان كاذباً حاكمته على رءوس الأشهاد.

فردت عليه هند قائلة: لا والله ما هو بصادق، بل هو مفتر أثيم.

وحين سمع الرجل هذا الكلام من ابنته، وتبين صدقها، استراح واطمأن قلبه، ثم ذهب إلى الفاكهة وقال له: يا فاكهة، لقد رميت ابنتي بأمر عظيم، فهيا بنا إلى كُهّان اليمن، يحكمون بيني وبينك. وكان العرب في الجاهلية كلما استعصى عليهم أمر: لجأوا إلى الكهان والمنجمين.

وهكذا خرج كل من الفاكهة وعُتبة إلى اليمن، وفي صحبة كل منهم مجموعة من الأفراد رجالاً ونساءً، كشهود على التحكيم. لكن هند حاولت التملص من الذهاب معهم، فلما شدد عليها أبوها قالت له: يا أبت كيف تريدني أن أضع مصيري بين يدي بشر يخطئ ويصيب؟

فقال لها: لن أدخلك عليه قبل أن أختبره، عندها وافقت هند على الخروج معهم، فلما وصل الجمع إلى مكان الكاهن، لم يرض عتبة أن يعرض عليه المسألة قبل أن يختبره، فلما تبين قدرته استبشر خيراً، وأدخل هند وبقية النساء إلى مجلس الكاهن، فلما رآها تقدم منها، وقال لها: انهضي غير رسحاء ولا زانية، ولتلدن ملكاً يقال له معاوية.

فلما قال ذلك عرف الفاكهة خطأه، وندم عليه،ونهض ليأخذ بيد هند، فقالت له: إليك عني، فوالله لأحرص أن يكون ابني الملك من غيرك.

وكان هذا التحكيم نهاية علاقتها مع الفاكهة، فطلقت منه ثم تزوجت بعده أبو سفيان، ليصبح هذا الزواج بداية لحياة مليئة بالأحداث الدرامية.

بدأت هذه الأحداث مع أول موقعة بين المسلمين والمشركين، وهي موقعة "بدر" التي انتصر فيها المسلمون، وهنا ينتظر هند خبر

فظيع، فقد قُتل أبوها عتبة بن ربيعة وعمها شيبة، وأطاح سيف حمزة بن عبد المطلب برأسيهما، كما أطاح سيف علي بن أبي طالب برأس أخيها الوليد بن عتبة.

وفُجعت هند في الأب والأخ والعم في وقت واحد.

فأخذت تنوح عليهم، وأقسمت على زوجها أبو سفيان: ألا يقربها حتى يأخذ بالثأر من قاتليهم.

ثم راحت ترثيهم وتبكي عليهم، بل إنها حين وصلت لمسامعها قصائد الخنساء التي ترثي فيها أخويها، قالت: أنا أعظم من الخنساء مصيبة. ثم أمرت أن يأتوا لها بهودج، فاعتلته وتوجهت إلى سوق عكاظ، فالتقت بالخنساء وتعارفتا، وراحت كل واحدة منهما تتحدث عن مصيبتها فيفقد الأحبة،وهي تذرف الدمع، فقالت الخنساء:

أبكي أبي عمراً بعين غزيرة ... قليل إذا نام الخليّ هجودها

وصنوي لا أنسى معاوية الذي ... له من سراة الحرتين وفودها

وصخراً ومن ذا مثل صخر إذا عدا ... بملهبة الأبطال قبّا يقودها

فذلك يا هند الرزية فاعلمي ... ونيران حرب حين شب وقودها

فقالت هند تجيبها:

أبكي عميد الأبطحين كليهما ... وحاميهما من كل باغ يريدها

أبي عتبة الخيرات ويحك فاعلمي ... وشيبة والحامي الذمار وليدها

أولئك آل المجد من آل غالب ... وفي العز منها حين ينمي عديدها

منذ مقتل عتبة وشيبة والوليد بن عتبة، بدأت هند وأبو سفيان في تحريض الناس ضد المسلمين، وتأجيج نار الحقد والعداوة، وأخذا يجمعان الرجال لتكوين جيش قوي يتصدى للمسلمين وينتقم منهم، حتى اجتمع أبو سفيان في مكة مع ثلاثة آلاف مقاتل، تولى بنفسه قيادتهم، ومائتا فارس قادهم خالد بن الوليد، وتوجهت الحملة نحو المدينة، والتحمت مع جيوش المسلمين في موقعة "أحد" الشهيرة، وقبل الموقعة اتفقت هند مع عبدها الحبشي "وحش" على أن يجيء لها برأس حمزة بن عبد المطلب مقابل منحه حريته، فاندفع "وحش" بين الصفوف يتحين الفرصة لتنفيذ خطته، وإذا بحربته تستقر طعنة دامية قاتلة في صدر حمزة، فخرّ صريعاً.

اصطحبت هند مجموعة النساء، وشقت طريقها بين جثث القتلى، حتى وصلت إلى جثة حمزة، فلما تيقنت من موته: أخذت تطلق صيحات الفرح بصوت هيستيري، وتتمايل غبطة، ثم استلت خنجرها، وانقضت على جثة الشهيد تمزقها بوحشية فظيعة، فقطعت أنفه وأذنيه، وقلعت عينيه، ولم تكتف بذلك، بل زيادة في الانتقام الأسود: شقت صدره بضراوة، ثم انتزعت كبده، وأخذت تلوكه بأسنانها في شراهة وتشفٍ، فلما رأتها نساء المشركين تفعل ذلك انطلقن يحاكينها ويقطعن جثث المسلمين.

ومنذ ذلك اليوم الأسود سُمّيت هند بـ"آكلة الأكباد".

***

ولكن الأيام لا تستقر على حال.

فهاهي الأحداث تمضي، وتتغير الظروف، فلقد أعلن أبو سفيان إسلامه فجأة، وزحف المسلمون بقيادة النبي عليه الصلاة والسلام في جيش قوامه عشرة آلاف مقاتل لفتح مكة، وصوت أبو سفيان يصيح بالناس قائلا: يا معشر قريش إني قد أسلمت فأسلموا.

فإن محمداً قد أتاكم بما لا قبل لكم به.

ومن دخل داره فهو آمن ومن دخل الكعبة فهو آمن، ومن دخل دار أبي سفيان فهو آمن.

فلما رأت هند المسلمين يتوجهون نحو الكعبة، تكللهم هالة من الخشوع والإكرام، أُخذت بمرآهم، وأصابتها رهبة خفية تغلغلت في كيانها.

وفي الصباح تقدمت هند من زوجها تعلن إسلامها، وتطلب منه أن يسمح لها بالمثول بين يدي محمد.

وهكذا أسلمت هند وحَسُن إسلامها.

وقد روت أحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم.

وروي عنها ابنها معاوية بن أبي سفيان وعائشة أم المؤمنين.

وتوفيت هند في خلافة عمر بن الخطاب، قبل أن ترى ابنها أميراً للمؤمنين.